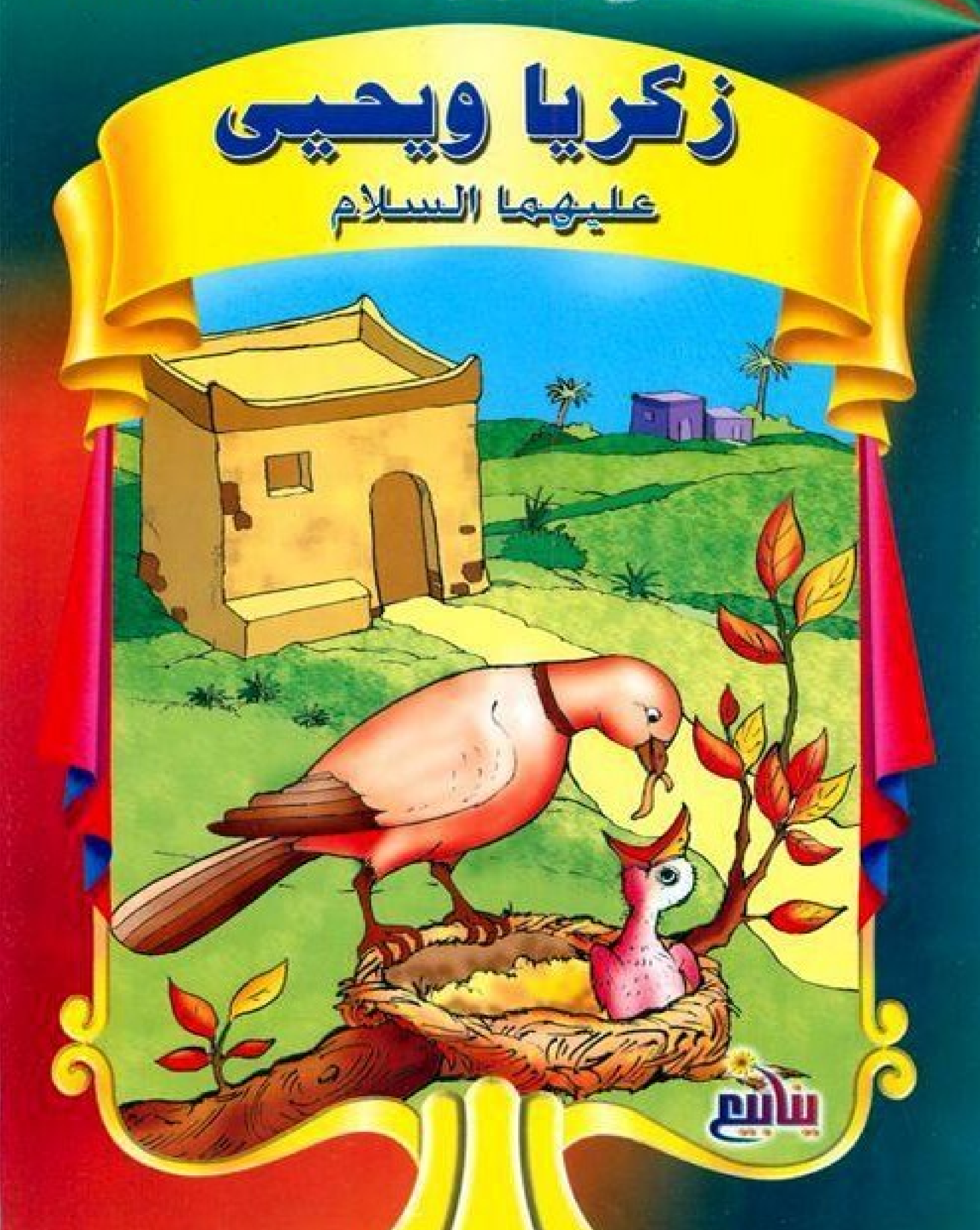
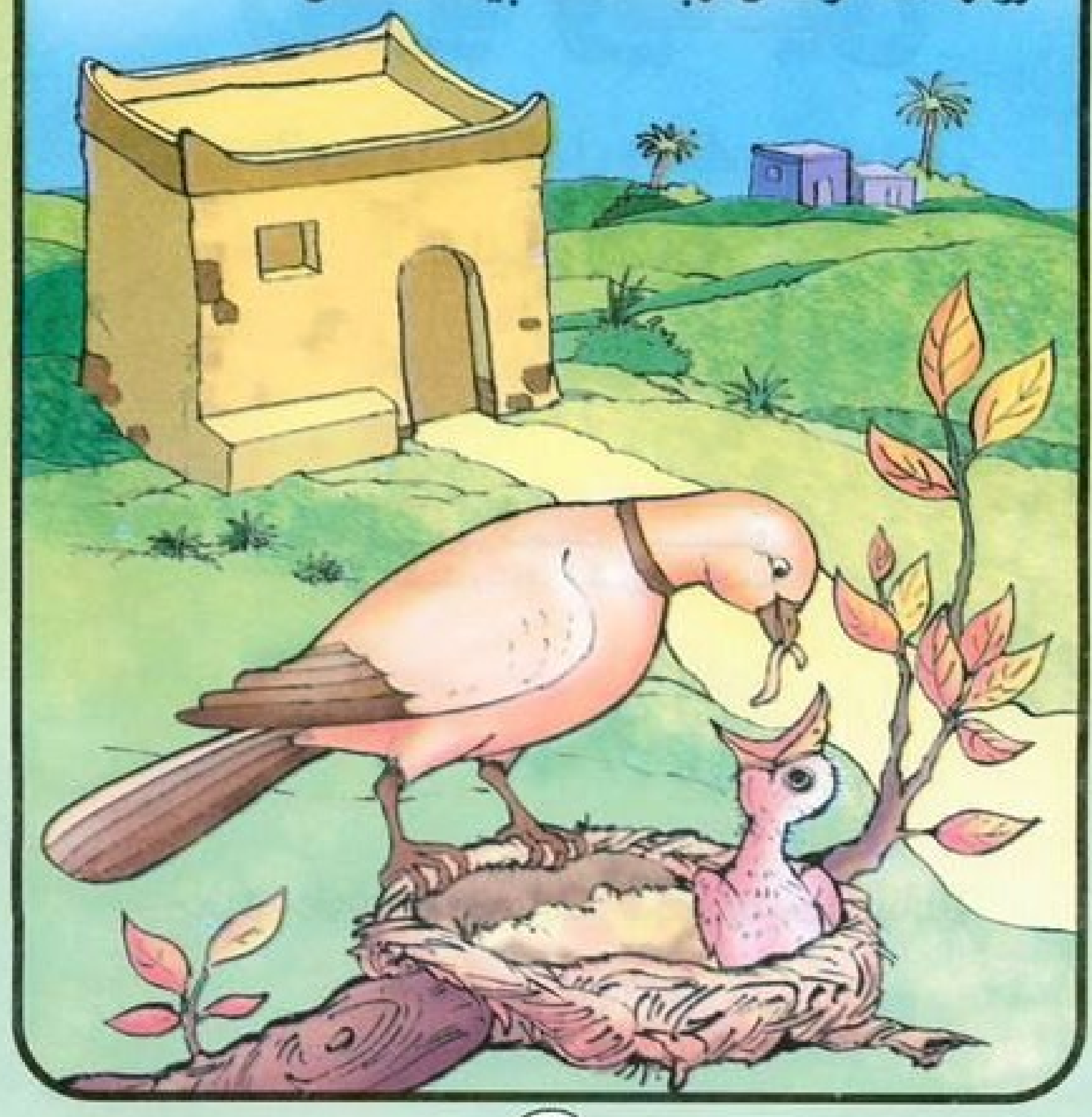
سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين

زكريا ويحيى

عليهما السلام



فى زمن نبى الله زكريا - عليه السلام - وُجد عالم من علماء بنى إسرائيل اسمه عمران، وكان صديقاً لنبى الله زكريا، وكان كل منهما لا ينجب. وفى يوم من الأيام رأت زوجة عمران طائراً يُطعم ولده فى فمه ويسقيه الماء، ويأخذه تحت جناحه، خوفاً عليه من البرد. فتحركت فيها مشاعر الأمومة، وأخذت تصلى لله وتدعوه أن يهبها ولداً صالحاً، ونذرت إن رزقها الله الولد أن تهبه خادماً لبيت المقدس.



استجاب الله دعاء زوجة عمران، فقد أحست بالحمل، وأخبرت زوجها، الذى راح يسجد لله شكراً ويكثر من عبادته، لأنه سيمن عليه بولد، ومضت الأيام والشهور، وقبل أن تلد زوجة عمران، مات زوجها، فكان يوم حزن على أهل المدينة كلها، فقد مات عالمهم عمران، وبكى عليه الجميع، وحزن عليه زكريا - عليه السلام - حزناً شديداً، وخاصة أن امرأته حامل، وهى على وشك الوضع، ولكنه قدر الله.



وأحست زوجة عمران بالام الوضع، فقد اقترب وضعها، وما هى إلا أيام حتى ضعت زوجة عمران مولودها، ولكن كانت المفاجأة، فقد وضعت زوجة عمران أنثى، وكانت تتمنى ولداً، لكى يكون خادماً للمسجد الأقصى، ونظرت زوجة عمران إلى السماء وقلبها يكلم الله: رب إنى وضعتها أنثى، ونسيت أن الله أعلم بما وضعت، ولكن زوجة عمران أصرت على الوفاء بالوعد، فقد وهبت ابنتها التى سمتها مريم لتكون خادمة للمسجد، فسلمتها لشيوخ بنى اسرائيل وعلمائهم.



وتسارع علماء بنى إسرائيل على كفالة مريم، وحاول زكريا عليه السلام أن يأخذها، فهو متزوج خالتها، ولكن معظم العلماء أصروا على إجراء قرعة، فوضعوا مريم والأقلام بجوارها، وأتى طفل صغير، فأخرج قلم زكريا، ولكنهم أعادوا القرعة، فوضعوا الأقلام فى البحر، فمن سار قلمه خلاف اتجاه المياه أخذها، فكان زكريا، ثم أجروا قرعة ثالثة، فمن سار قلمه وحده مع اتجاه تيار المياه أخذها، فكان قلم زكريا، فأخذها زكريا لكفالتها.



كفل زكريا - عليه السلام - مريم، وقد جعل لها مكاناً خاصاً بالمسجد، وكان لها محراب خاص بالصلاة، وكان زكريا يدخل عليها كل فترة، فكان يجد عجباً، كان يرى فاكهة الصيف عند مريم فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف، فسألها: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فتوجه زكريا إلى ربه بالدعاء أن يرزقه ولداً صالحاً يحمل النبوة والعلم من بعده لبنى إسرائيل.



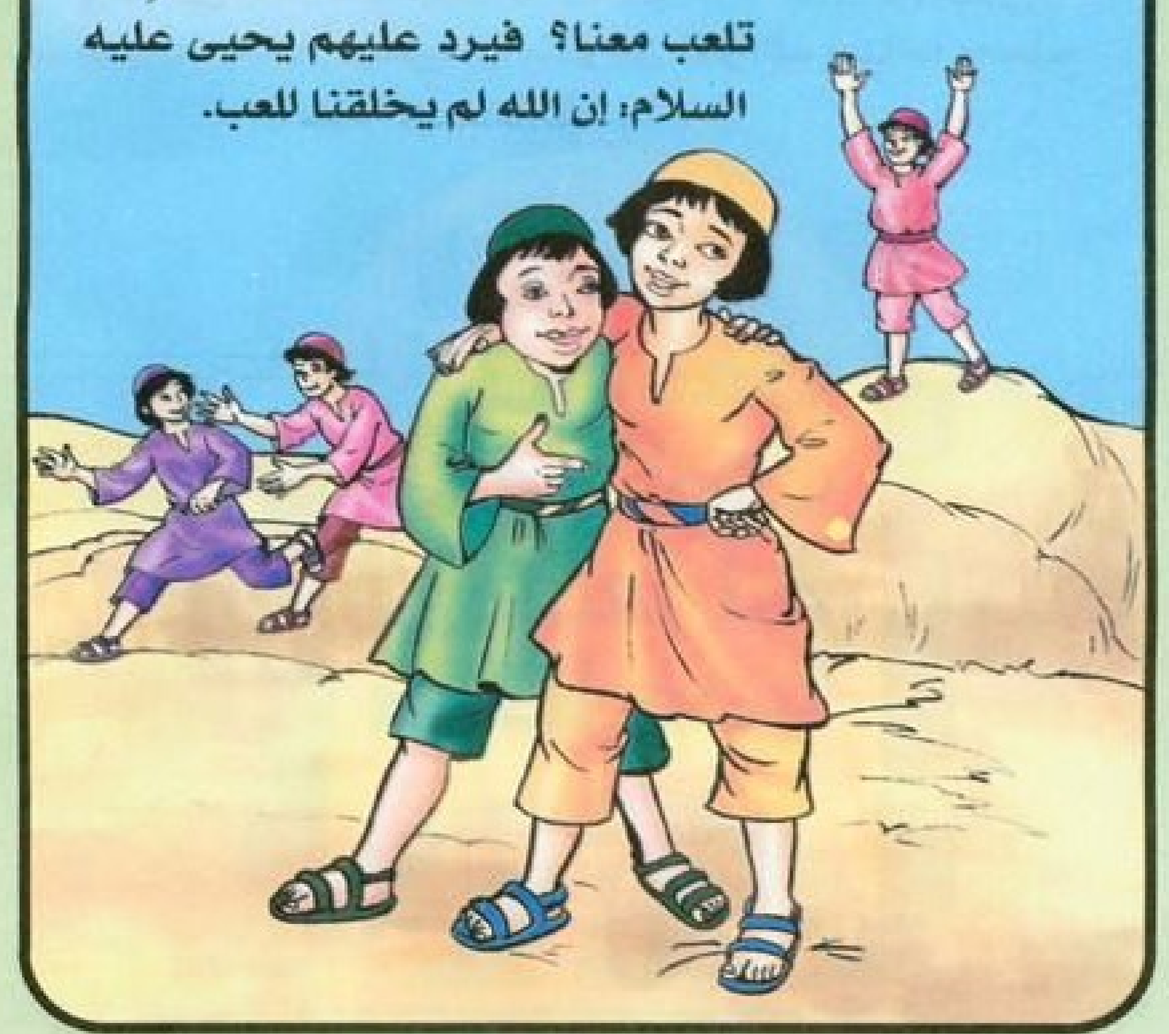
وفى ليلة من الليالى، وبينما كان زكريا - عليه السلام - قائم يصلى فى المحراب، نادته الملائكة: أن الله يبشرك بيحيى ولداً لك، ونبياً إلى بنى إسرائيل. فتعجب زكريا - عليه السلام - من ذلك، وقال: كيف يكون لى ولد وكانت امرأتى عاقراً، وقد كبر سنى؟ فردت عليه الملائكة: هذا هو أمر الله، فالله خلقك ولم يكن لك وجود.

فرح زكريا - عليه السلام - وتوجه إلى الله تعالى بالشكر والثناء، وطلب أن يجعل له آية، فأخبره الله تعالى أنه لن يستطيع الكلام ثلاثة أيام، فإذا وجد ذلك، فليعلم أن زوجته أصبحت حاملاً، وعليه أن يكثر من ذكر الله صباحاً ومساءً.



وفى يوم من الأيام خرج زكريا - عليه السلام - ليحدث قومه ويدعوهم، ولكنه فوجئ أنه لا يستطيع الكلام، فأشار إلى قومه أن يسبحوا الله فى الفجر والعشاء، وراح هو يسبح الله تعالى بقلبه.

ومرت الأيام، وجاء الوقت الذى وضعت فيه زوجة زكريا. وفرح زكريا وزوجته بيحيى، فاعتنى زكريا - عليه السلام - بولده منذ الصغر، ورباه تربية صالحة، فلم يكن يلعب كما يلعب باقى الصبية، بل كان منذ الصغر طائعاً لله تعالى، فكان يشاهد الأطفال فى سنه ولا يلعب معهم. فيقولون له: لِم لا تلعب معنا؟ فيرد عليهم يحيى عليه السلام: إن الله لم يخلقنا للعب.

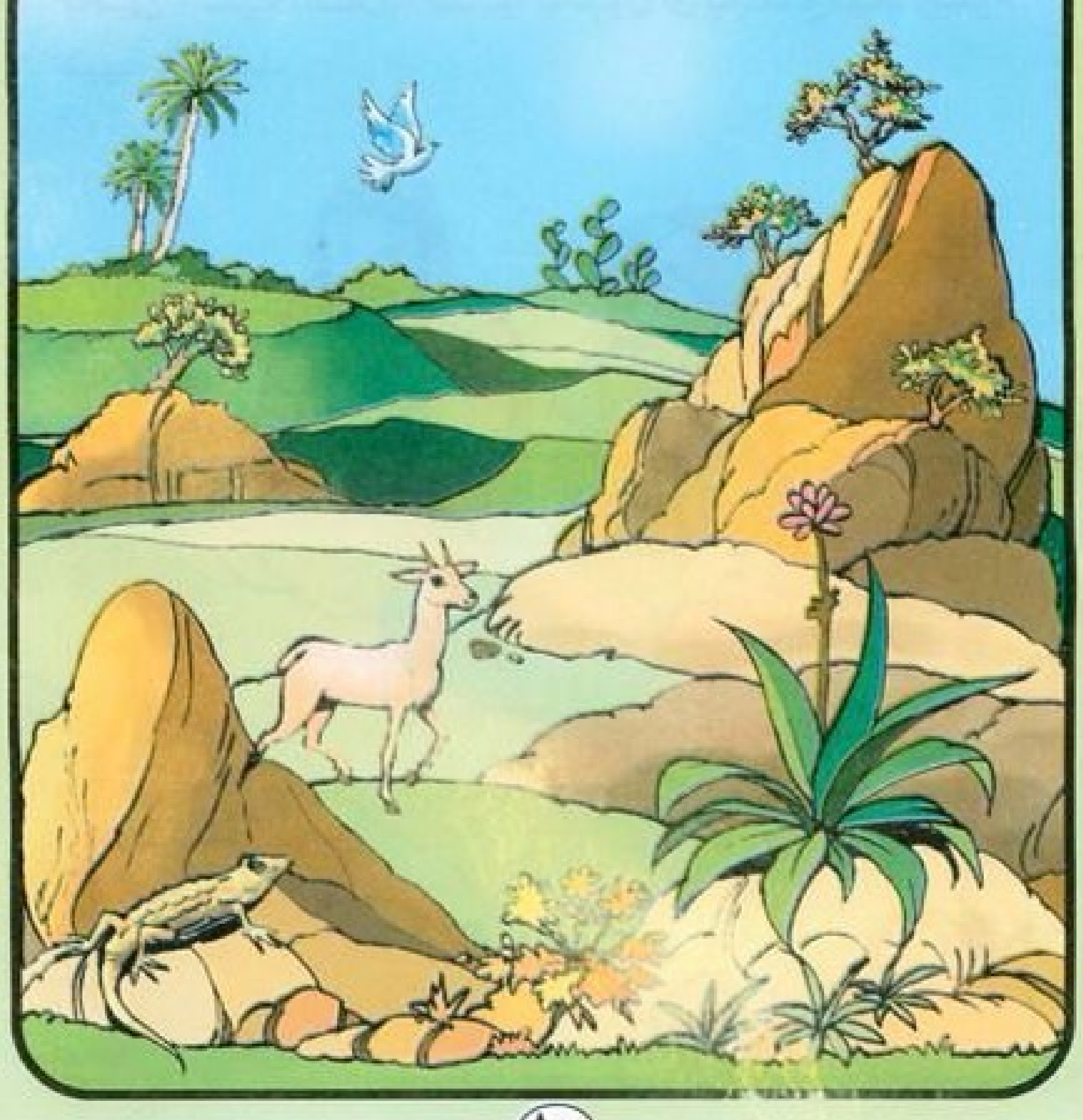


وكبر يحيى - عليه السلام - وأصبح شاباً حليماً عابداً، يدعو قومه إلى الإيمان وإلى مكارم الأخلاق.

وذات يوم، جمع يحيى - عليه السلام - بنى إسرائيل فى بيت المقدس، ثم صعد المنبر، وخطب فى الناس، وأمرهم بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، وأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة وذكر الله تعالى، فتأثر الحاضرون ببلاغة نبى الله يحيى - عليه السلام- فكانوا يحبون أن يجتمع بهم، ويقوم فيهم خطيباً.



وكان يحيى - عليه السلام - يحب العزلة والانفراد، وأن يختلى بعيداً عن الناس، وكان كثيراً ما يذهب إلى البرارى والصحارى يعبد الله تعالى، ويتأمل فى خلق الله: السماوات وعلوها، والأرض وانبساطها، والأشجار وثمارها، والصحراء وخلائها، فيزداد إيمانه، ثم يرجع إلى الناس يدعوهم إلى ما تعلم أثناء العزلة عنهم.

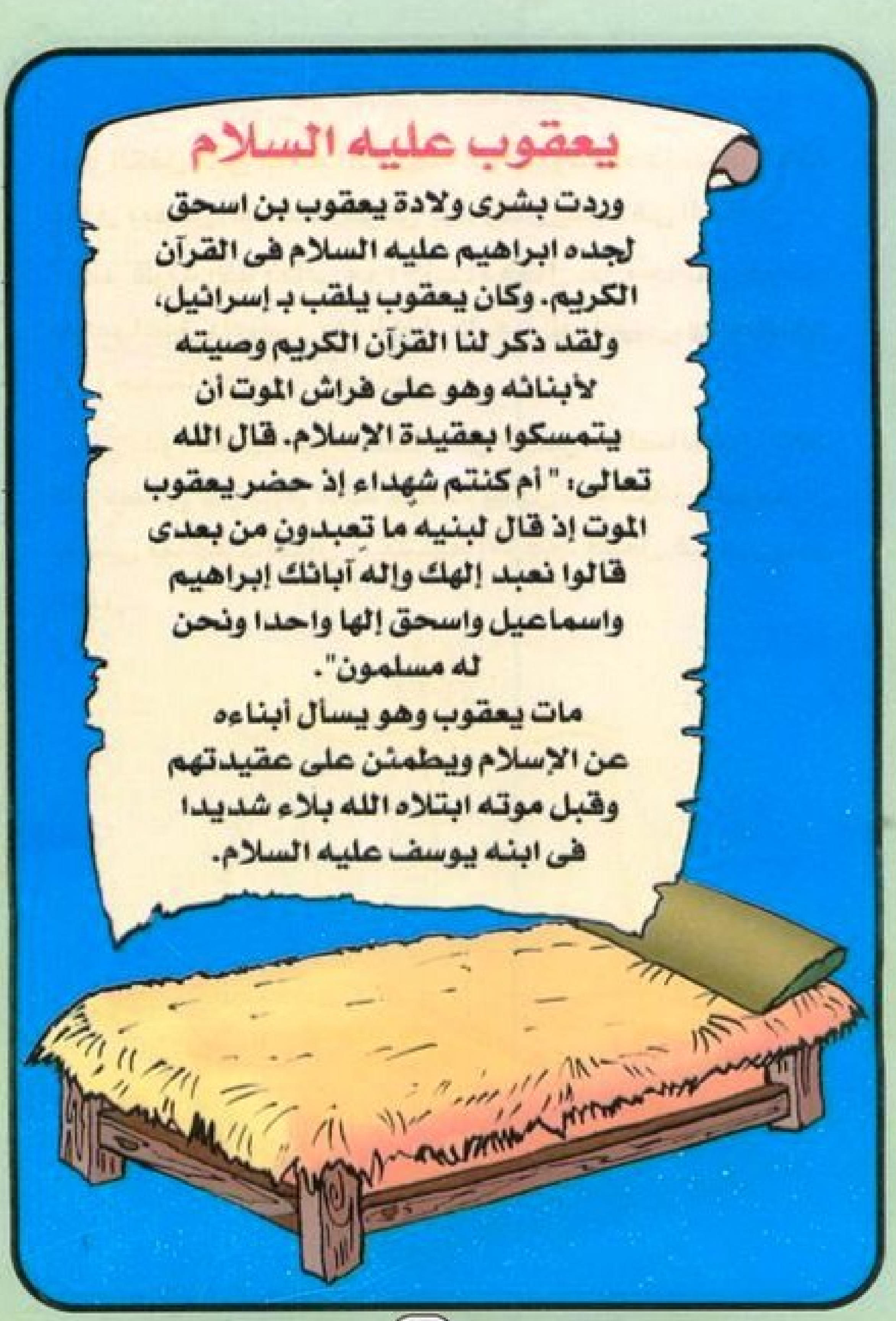


وقد قيل: إن يحيى - عليه السلام - ظهر له إبليس اللعين، فرأى يحيى - عليه السلام - عدة معاليق على إبليس من كل شيء، فسأله يحيى عليه السلام: يا إبليس، ما هذه المعاليق؟ فقال إبليس: هذه الشهوات التى أصيب بها بنى آدم. فقال يحيى: وهل لى فيها شيء؟ فقال إبليس: ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة والذكر. فقال يحيى: لله علىَّ ألا أملأ بطنى من طعام أبداً. فقال إبليس: ولله علىَّ ألا أنصح مسلماً أبداً.



وكان ملك فلسطين آنذاك يعرف قدر يحيى -عليه السلام- فكان يستشيره فى أموره، وكان لهذا الملك بنت أخ تُعرف بالرقة والجمال، فأراد هذا الملك أن يتزوجها، فاستشار يحيى - عليه السلام - فى زواجه منها، فقال يحيي: إنها لا تحل لك. وعُرف حكم يحيى، وسمعت به أم هذه الفتاة، فسقت الملك خمراً وطلبت منه أن يأتى لها برأس يحيى بن زكريا - عليهما السلام - فى طست من فضة، فرفض الملك وخاف من ذلك، ولكنها ألحت عليه، حتى أمر الجنود بقتل يحيى - عليه السلام- فعاقبه الله وأهلكة.





يعقوب عليه السلام

وردت بشرى ولادة يعقوب بن اسحق لجده ابراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم. وكان يعقوب يلقب بـ إسرائيل، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم وصيته لأبنائه وهو على فراش الموت أن يتمسكوا بعقيدة الإسلام. قال الله تعالى: " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدونِ من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون".

مات يعقوب وهو يسأل أبناءه عن الإسلام ويطمئن على عقيدتهم وقبل موته ابتلاه الله بلاء شديدا فى ابنه يوسف عليه السلام.

ذو الكفل عليه السلام

ذو الكفل نبى بعثه الله بعد أيوب، وسماه ذا الكفل لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفى بها، وكان يقيم فى الشام.

وقد قرنه الله تعالى مع الأنبياء فقال عز وجل فى قرآنه: ﴿واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين. وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين﴾.

وكان ذو الكفل عليه السلام من الأنبياء الصالحين، فقد كان يصلى كل يوم مائة صلاة، وقيل إنه تكفل لقومه أن يقضى بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم، ففعل فسمى بذى الكفل.



إدريس عليه السلام

أثنى الله تعالى على نبيه إدريس عليه السلام، ووصفه بالنبوة والصديقية فقال تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إدريس انه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا﴾.

وكان إدريس أول بنى آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وهو أول من خط بالقلم. ولقد مر به رسول الله ﷺ وهو فى السماء الرابعة فى رحلة المعراج، وهذا هو المقصود بقوله تعالى ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾.



الياس واليسع عليهما السلام

أرسله الله تعالى إلى أهل بعلبك غربى دمشق، فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا، فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله، فهرب منهم واختفى فى غار عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولى غيره، فأتاه الياس فعرض عليه الإسلام فأسلم، وأسلم من قومه عدد كبير.

لما مات الياس عليه السلام خلفه اليسع فى قومه، وكان اليسع عليه السلام يدعوهم إلى الله والتمسك بمنهاج الياس وشريعته، حتى قبضه الله عز وجل إليه.

